علم السكان في الفكر القديم

إن الاهتمام الديموغرافية في الفكر الإنساني منذ العصور القديمة كان مرتبطا فقط بعدد السكان ، إذ أنّ دراسة السكان قد نالت من انتباه المفكرين منذ أقدم العصور، فكثير من الفلاسفة والمفكرين القدامى تطرق الى قضايا تتعلق بأمور الزواج . الإنجاب، المرض منهم كونفوشيوس في الصين، وأفلاطون وأرسطو عند اليونان، وابن خلدون عند العرب ونتج عن الكتابات التي تركها هؤلاء المفكرين فكرا سكانيا لولاه ما وصلت دراسة السكان إلى المراحل الحديثة المعاصرة من تاريخ الفكر الإنساني وما حققته من نضج .

ولقد ظهرت في الآونة المعاصرة من تاريخ الفكر الإنساني اتجاهات فكرية متباينة من أجل ادراك وفهم الظواهر السكانية وتحليلها وتفسير معطياتها وتتبع ا ، والتنبؤ بأحوالها في المستقبل ونحاول من خلال هذا العرضإن نطرح اهم الآراء ووجهات النظر التي قدمها أولئك المفكرين المذكورين السابق ذكرهم الذين وجدوا في المراحل الأولى للفكر الإنساني أو ما بعدها والتي تناولت أهم الأفكار السكانية التي طرحت.

1-كونفيشيوس :اهتم بفكرة التناسب بين مساحة الأرض وعدد السكان حيث كان يرغب في تزايد عدد السكان لكنه كان متخوفا من المجاعات الناتجة عن الضغط على الموارد الطبيعية المتاحة للعيش.فهو يرى أنّ من مسؤولية الحكومة أن تنقل السكان من المناطق المزدحمة بالسكان إلى المناطق الأقل عددا من السكان ، وأوضح أيضا العوامل العديدة التي تؤثر في نمو السكان، وحصرها في عوامل نقص الغذاء ، الحرب ، الزواج المبكر.

2-أفلاطون : تناول قضايا السكان في كتابه" الجمهورية " حيث يشير في هذا الكتاب إلى أنّه ينبغي على الحكام أن يثبتوا عدد السكان في المدينة إلى حد أمثل على أن يعوضوا ما تم فقدانه من جراء الحروب والأمراض، ولكن لابد ألا يزيد هذا العدد عن الحد الأمثل حتى تبقى الدولة في الحد المتوسط وذلك عن طريق تنظيم عقود الزواج.

أفلاطون قام بتفصيل هذا الأمر في كتابه " القوانين " من حيث مقدار العدد الأمثل للسكان في المدينة إذ أشار بأنّه يجب أن يكون 5040 مواطن مع ملاحظة أنّ العبيد لا يدخلون

ضمن المواطنين، ويوضح أفلاطون مبررات اختياره لهذا العدد على أنّه حد أمثل قائلا أنّ هذا العدد يقبل القسمة على كل الأعداد من 1–10كما أنّه يقبل القسمة على الرقم 12 ، ولهذا الرقم أهمية عند أفلاطون إذ يمكن تقسيم أراضي المدينة اليونانية إلى 12 جزء هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان أفلاطون يظن أنّ لهذا العدد الأمثل دلالة ومعنى دينيا وأسطوريا لدى المواطنين الذين يقدسون هذا العدد في حياتهم .

3–أرسطو : تناول العديد من الموضوعات السكانية ،واتجه اتجاها أكثر واقعية من أفلاطون فلقد اهتم بموضوع الحد الأمثل للسكان، ولكي يثبت حجم السكان عند حد معين ينبغي حساب وتقدير فرص الوفيات عند الأطفال والعقم عند المتزوجين، ولكنّه لم يبين هذا العدد بالتحديد والحجم الامثل عنده هو الذي يصل إلى حد يمكّن الدولة من توفير متطلبات الحياة الأساسية.

واعتقد أرسطو ضرورة تدخل الدولة والحكومة لتحديد عدد المواليد لكل أسرة وبالتالي تحديد حجم السكان وذلك بالأخذ بالأساليب التي يمكن ان تحقق التناسب بين حجم السكان في المدينة وبين مواردهم، وخاصة مساحة الأرض وقدرتها على إشباع حاجات السكان وهنا وافق أرسطو على الإجهاض، والتخلص من طفل مشوه او يعاني من أي نوع من أنواع الإعاقة.

وحذر أرسطو من النمو غير المتناسب بين طبقات المدينة بحيث لا يطغى سكان طبقة على سكان طبقة أخرى لأنّ هذا النمو غير متناسب يؤدي إلى القيام بالثورات.

أشار أرسطو إلى توزيع السكان على وحدات المجتمع وقسمها بين الأسرة، ثم القرية، ثم المدينة، ثم وزع السكان بين المهن إلى من يقومون بالمهن الطبيعية (الزراعة الصيد، تربية الحيوانات)، ومن يقومون بمهن غير طبيعية (التجارة، الصناعة).

كما تناول التوزيع العمري للسكان وأجرى تفرقة بين الرجل والمرأة على الاستعدادات الجسمية والعقلية.

4-ابن خلدون: لقد قدم ابن خلدون المفكر الاجتماعي العربي خلال القرن الرابع عشر بعض الأفكار التي أثرت فيما بعد في تطوير الاهتمام بدراسة السكان ، حيث يذهب ابن خلدون إلى أنّ المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة إذ يشهد المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات الولادات ونقص في معدلات الوفيات ، وهذا ما يؤثر على نمو السكان ويزيد من عددهم، وعندما ينتقل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة من تطوره يشهد ظروف ديموغرافية مختلفة تماما حيث تنخفض معدلات الخصوبة والإنجاب وترتفع معدلات الوفيات ويزداد انتشار المجاعات والأوبئة والفوضى والثورات بسبب التمرد ....الخ ممّا يقلل من نشاط السكان ، ويقلل نسلهم.

ويضيف ابن خلدون أنّ المجتمعات تختلف بعضها عن البعض من حيث حجم السكان ممّا يعد عاملا أساسيا في اختلاف درجة حضارتها ورفاهيتها، فالزيادة السكانية تؤدي إلى زيادة التعاون الذي يؤدي بدوره في زيادة الإنتاج، فالمدن التي ازدهرت فيها وتقدمت فيها درجة العلم والصناعة كانت تتميز بكبر حجم سكانها، وعندما قل السكان فقدت هذه المدن علومها وفنونها.

للتعقيب على الفكر السكاني القديم كما انطوت عليه كتابات كونفيشوس ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وابن خلدون فإنّه يمكن القول :

- إنّ الفكر السكاني القديم كما ظهر لنا من أفكار كونفيشيوس وأفلاطون وأرسطو باستثناء ابن خلدون، كان يتميز باهتمامه بالعلاقة بين حجم السكان وأهداف الدولة أو المجتمع بالقيم المرغوب فيها داخل هذه الدولة حيث:

- ربط كونفيشيوس بين عدد السكان ومساحة الأرض.

- وربط أفلاطون بين حجم السكان ورفاهية وأمن المواطنيين.

- وربط أرسطو بين حجم السكان والتناسب بين نمو الطبقات تجنبا لحدوث الثورة والاضطراب.

وكل هذا الربط يوضح أن الفكر السكاني القديم كان يتجه نجو الاتجاهات التطبيقية والعملية فقط ، وقل اهتمامه بالنتائج والقضايا النظرية التي تفترض وجود علاقات بين الظواهر السكانية وبين غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى تفيد في تفسير هذه الظواهر والتنبؤ بها كما هو الحال فيما يعرف حاليا بنظريات السكان .

- إن الفكر السكاني كما اتضح في كتابات أفلاطون وأرسطو على وجه الخصوص كان اهتمام غير مقصود في ذاته وإنّما يدخل ضمنها تخطيطها الأمثل الصورة التي رسمها للمدينة اليونانية الفاضلة وتمثل جزءا من تأملاتها التي انطبعت بطابع مثالي يصور ما ينبغي أن يكون.

- إنّ هذا الفكر السكاني لم يعتمد على البيانات السكانية التي تستند إلى الدراسات الإحصائية، ولم يستعين بالمؤشرات ، ولا بالملاحظات الأمبريقية التي توفرها البحوث الميدانية بقدر ما كان يعتمد على الأفكار والتصورات الفلسفية .

نستخلص ممّا سبق أنّ الفكر السكاني القديم الذي تم تناوله من خلال أفكار كونفيشيوس ، وأفلاطون وأرسطو ، وأفكار ابن خلدون يمكن أن تمثل المرحلة الأولى في الاهتمام بدراسة الظواهر السكانية خلال تاريخ الفكر السكاني القديم ولولاه ما بدأت بعده مراحل أخرى في الاهتمام بدراسة الظواهر السكانية ، فلقد مهد هذا الفكر السكاني لظهور كل صور الاهتمام الحديث والمعاصر والتي تمثلت فيما يعرف بالديموغرافيا والدراسات السكانية.